

## غادة السمان ، رحيل المرآة القديمة ( منشورات دار الآداب ، بيروت — ١٩٧٣ )

القارئ عبده من عالم واقع الانسان الممزق النسي  
عالم الماضي القريب ، عالم الاوهام — والالم .  
وبالاعتماد على هذا الاخراج البديع تقوم غادة  
السمان في أول قصص المجموعة ( الدانوب  
الرمادي ) بعملية مراجعة لمجل ممارسات ومفاهيم  
مذبذبة جميلة ومواطنة ملتزمة جذابة ( بطله القصة ) ،  
وبتصوير خيية الأمل حين يصل اثرها الى الاعماق  
وانمكاسات هذه الخيبة على الانسان العربي وما  
تفعل به من تشويه وتزويق . المذبذبة الملتزمة هي  
الاعلام العربي قبل هزيمة حزيران ( يونيو ) ، وهي  
التي علمها والدها « المسفير مست لغات » ، ولكنها  
بالرغم من ذلك تجد نفسها عاجزة « عن التفاهم  
الكامل مع انسان واحد فقط ... » ولذلك يتحرك  
الانسان المهزوم في المذبذبة هاربا الى فيينا بعد أن  
اختارت المذبذبة « المجهيء اليها مع ( جورجي )  
— صديقها — لانه احرص ! « لقد دفعت مرارة  
الهزيمة الانسان في المذبذبة للاصرار على التفاهم  
مع ( جورجي ) ومع سواء بلغة الاشارة . « لغة  
العصور الحجرية . لغة ما قبل اختراع اللقمة  
والكذب والزيف ... » .

وتتابع غادة السمان عرضها المؤلم لمرارة الهزيمة  
ولدور الاعلام العربي الكبير الذي كذب وزيف وزور  
.. في أول قصص المجموعة « الدانوب الرمادي »  
— اذ نكل منا دانوبه — بازواجية صبغت قصص  
المجموعة السم توجرنا للدخول فيها دون اقتعة .  
فصوت المذبذبة ( بطله القصة ) « — اجمل الاصوات  
الاذاعية كما كانوا يصفونه — كان اداة الجريمة ..  
كان فصيح الانفي ... » وفي الايام الاولى لحرب  
حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ كانت تذيع انشودة « اجداد  
يا عرب اجداد » وكلها سعادة لانها تخيلت « أخيها  
القدائي ورفاقه الآخرين على مشارف القدس  
يدخلون نصفها المحتل ... » عندما لاحظت اثناء  
اذاعة الانشودة « وجوه الملايين التي كانت تجيء  
زجاج نافذة الستوديو تنصت للاخبار بعيونهاها  
الفضولية الطفولية الفاغرة قد تجعدت وهربت الف  
سنة » .

الرحلة مع غادة السمان الى دانوب (شترابوس)  
الرمادي — الذي هو دانوبها — هي رحلة هروبية

انها ليست المرة الاولى التي اقرأ غادة  
السمان . اتابعها منذ كنت أحشر مع زملائي الطلبة  
في أحد مقاعد ثانوية مدينتي . كانت غادة حينها رمزا  
لحبنا المستحيل ، نجد في كلمات رواياتها الجسر  
الذي نعبرفوقه علنا نصل الى ذلك الحب . هذا في  
الماضي . أما في مجموعة قصصها الاخيرة « رحيل  
المرآة القديمة » لا بد من شهادة نسجلها لغادة  
— علما بانها ليست بحاجة لمثل هذه الشهادة ،  
وانما نحن — وهي انها حققت قفزات نوعية ليس  
في وقاحتها الفظة ، او شراستها المتفجرة ، او  
حريتها الحالية وحسب ، وانما بدرجة التزامها  
السياسي والاجتماعي ايضا . انها في « رحيل  
المرآة القديمة » تنقلب الواقحة — كما يتصورها  
البعض عند غادة السمان — الى جراءة، والشراسة  
الى صلابة ، وتترجم حريتها الى الواقع — واقع ما  
بعد هزيمة حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ — الذي ينفذ  
ابدا .

ان من يقرأ لغادة السمان يشمر وكأنه يلقسي  
مجددا مع انفعالاته الاولى تلك التي تنور من تأثير  
لحن موسيقي خاص ، ويجد نفسه يهذي من فعل  
هذا اللحن حتى يكاد يعتقد ان لوفة اصابعه . ان  
قلعها مغني غريب يحمل في حنجرته غرائز ارض  
الواقع ، الارض المهجورة ، الارض التي هاجرها  
الانسان في غادة الى فيينا ( الدانوب الرمادي  
اول قصص المجموعة ) ، ويدفن في قلبه انفعالات  
الاجساد المرتخية التي تدرك الارتعاشات  
لللامحدودة، وتتخفي في عقله رغبة قاتلة في مصارعة  
الآخرين الذين تحولوا الى جيف فنتة واستسلموا  
لقبار الانكار — لسياسة الامر الواقع — الذي  
يعصي بصرهم وبصيرتهم في آن ، وتتفجر في عضلاته  
قوة صاعقة للبطش بمن اصابهم استرخاء شبه  
ابدي مقيت بعد عبائة تخدير كاملة رسمت نهايات  
فعاليتهم كتوى حية .

« رحيل المرآة القديمة » ست قصص تتيم  
الواحدة منها الاخرى . وتنساب قصص المجموعة  
كلها في خيطين نسج الثاني منها وتشعب بفعل وتأثير  
الخيط الاول : الاول سياسي والثاني اجتماعي .  
يأتي هذا الانسياب في اخراج بديع تنقل غادة